

كتاب "بلوغ الآراب في لطائف العتاب" لأبي عبد الله المقرئ (ت 759 هـ)
والتحقيق في صحة نسبته إليه.

**“Bolough al-A’rab fi Lataif al-Etab” to Al-Imam al-Maqari (D.759 h)
and the investigation of the validity of attributing to him**

امحمد لقدي*

¹ المركز الجامعي تيبازة (الجزائر)، lok dai.mhammed@cu-tipaza.dz

تاريخ النشر: 2024/03/14

تاريخ القبول: 2024/01/18

تاريخ الاستلام: 2023/07/17

ملخص:

لقد ترك لنا أبو عبد الله محمد المقرئ (الجد)، مؤلفات متنوعة؛ وعلى رأسها كتابه العظيم "القواعد"، الذي عدّ من أهم ما ألف في القواعد والضوابط الفقهية في المذهب المالكي. وكتاب آخر عنوانه: "بلوغ الآراب في لطائف العتاب" نسب إلى المقرئ أيضا، مع تحريف في الاسم في بعض نسخ الكتاب المتاحة؛ بيد أن كثيرا من أهل التراجم لم يذكره له، بل ولا حتى من تتلمذ عليه أو عاصره أو جاء بعده كحفيدة أبي العباس أحمد، صاحب "نفح الطيب". وإن كتابا كثرت نسخه في خزائن بلاد العرب والعجم، منسوباً إلى عالم همام وعلامة إمام، له على بلاد المغرب عموما والجزائر وتلمسان بخاصة كبير فضل؛ لجدير بالوقوف عليه تحقيقا ودراسة. وقد عنّ لي في هذا المقال أن أخوض غمار البحث والتحقيق في نسبة كتاب "بلوغ الآراب في لطائف العتاب" إليه. كلمات مفتاحية: تحقيق المخطوط، أبو عبد الله المقرئ، كتاب بلوغ الآراب، علماء الجزائر، علماء تلمسان

Abstract:

Abu Abdullah Mohammed al-Maqari, (the grandfather), left us various books; Foremost among them is his great book "Al-Qawa'id", which was considered one of the most important books he wrote on rules and regulations in the Maliki school .

And another book entitled: "Bolough Al-A'rab fi Lataif Al-Etab" was also attributed to Al-Maqari, with a distortion in the name in some of the available copies of the book. However, many of the biographers did not mention it to him.

And that a book whose copies have multiplied in the treasuries of the countries of the Arabs and others. It is worthy of being investigated and studied. In this article, it meant for me to delve into the search and investigation of the attribution of the book "Bolough Al-Arab fi Lataif Al-Itab" to him.

Keywords:Editing the manuscript, Abu Abdullah al-Maqari, The Book of Bolough al-A'rab, Scholars of Algeria, Scholars of Tlemcen.

* امحمد لقدي

1. مقدمة:

إنَّ الخوض في بحور التحقيق العلمي حفاظاً على التراث، وطمينا لجذور الماضي وربطها بالحاضر، والنظر في النصوص التراثية التي ورثناها عن علمائنا- وأضحت أسيرة التآكل والضياع تارة، والتكتم وصعوبة الحصول عليها تارة أخرى- من أعظم الأعمال التي يقوم بها الدارسون، ويتقرب بها المتقربون؛ حفاظاً على هذا الإرث الغالي الذي أحاطت به أسباب الضياع من كل جانب.

كما أنَّ علم تحقيق النصوص من العلوم التي تحتاج جهوداً متعددة يحسن بالباحث الذي يخوضها أن يكون واسع الصدر صبوراً، إذ إن جلب المعلومات وتوثيقها، وردها إلى أصولها، يتطلب جهداً ووقتاً لا يستهان بهما.

ومن النصوص التي لم يصلنا أكثرها، ولعله في عداد التراث الضائع، الذي نأمل اكتشافه ونشره لتعميم النفع به، تلك التي تركها لنا أبو عبد الله محمد المقرئ، جد صاحب "نفع الطيب"، وعلى رأسها كتابه العظيم "القواعد"، فيه سما إلى صعيد تقعيد القواعد الفقهية، التي تعرف بالأصول القرينية، وكان تأليفه ذاك من أهم ما ألف في القواعد والضوابط على مذهب الإمام مالك؛ وهو فن لم يبرز في مجاله إلا القليل من الأعلام في كل مذهب؛ فكان بذلك جديرا بأن يطلق على صاحبه "إمام القواعد".

وكتاب آخر عنوانه: "بلوغ الأرباب في لطائف العتاب" نسب إلى المقرئ أيضا، مع تحريف في الاسم في بعض نسخ الكتاب المتاحة، بيد أن كثيرا من أهل التراجم لم يذكره له، بل ولا حتى من تتلمذ عليه أو عاصره أو جاء بعده كحفيده أبي العباس أحمد صاحب "نفع الطيب".

وإن كتابا كثرت نسخه في خزائن بلاد العرب والعجم، منسوباً إلى عالم همام وعلامة إمام، له على بلاد المغرب عموما والجزائر وتلمسان بخاصة كبير فضل؛ لجدير بالوقوف عليه تحقيقا ودراسة.

فما صحة نسبة كتاب "بلوغ الأرباب في لطائف العتاب" إلى المقرئ أبي عبد الله؟ وهل كثرة نسخ الكتاب دليل على نسبته إليه؟ وكيف أغفل أكثر المترجمين للمقرئ ذكر هذا السفر العلمي له؟ في هذا البحث سنكشف كل ما استشكل بالأدلة، وفق منهج رصين يفرضه فن تحقيق المخطوط. وقد بدأنا بترجمة للمقرئ ثم فصلنا القول على صحة نسبة الكتاب المذكور إليه. وذلينا البحث بصور عن أهم النسخ المتاحة.

2. المقرئ الجد: حياته وآثاره

1.2 اسمه ولقبه وكنيته:

هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي. وكنيته أبو عبد الله. ويعرف بالمقرئ-بفتح الميم وتشديد القاف¹- نسبة إلى بلدة مقررة المعروفة الآن بولاية

المسيلة من القطر الجزائري²، كما أشار إلى ذلك علامة الجزائر البشير الإبراهيمي، حينما تكلم في إحدى مقالاته عن منطقة الزاب الإفريقي³

2.2 مولده ونشأته:

ولد أبو عبد الله محمد المقرئ بتلمسان، في تاريخ لم يضبطه لا هو عندما ترجم لنفسه في فهرسه المسمى: "نظم اللآلي في سلوك الأمالي"، ولا حفيده أبو العباس في "نفحه" لما ترجم لجدّه. ولعل المقرئ الجد أثر أن لا يصرح بتاريخ ولادته؛ لأنه كان يرى أنه ليس من المروعة الإخبار بالسن. وكل ما ذكره عن ذلك كان بقوله: "كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، وقد وقفت على تاريخ ذلك، ولكني رأيت الصفح عنه..."⁴. وقد قدر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور أن مولد المقرئ كان في حدود سنة 710 هـ⁵.

3.2 شيوخه وتلاميذه:

كان المقرئ من العلماء الذين يعكفون على العلم قراءة وإقراءً، وقد أفادنا الونشريسي أنه بتلمسان "نشأ وقرأ وأقرأ"⁶. وبعد أن ارتحل إلى فاس مع أبي عنان، بنى له المدرسة المتوكلية التي كان من ألمع مدرسيها وأشهرهم، وما كان يقرأه بين يدي هذا السلطان وبحضرة أكابر فقهاء فاس، كتاب: "صحيح مسلم"⁷. وفي الأندلس ألقى على طلبتها الدروس، وعقد المجالس العلمية، وذاكر الأعلام بجامع غرناطة وبمدرستها النصرية، وكان من جملة هؤلاء الأعلام: أبو سعيد بن لب، فقيه غرناطة ومفتيها توفي سنة 782 هـ، وذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب، أشهر رجال الأندلس في النصف الثاني من القرن الثامن، وناظم وكاتب ومؤرخ، توفي سنة 776 هـ.

وشيوخ المقرئ كثر، فقد عد منهم حفيده أكثر من ثلاثين شيخاً من أفذاذ العصر⁸ غير أن مترجمنا نوه بشيخين جليلين أخذ عنهما بالأندلس، حيث نعت أحدهما بعالم الدنيا، والآخر بنادرهما. فالعالم هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد العبدري الآبلي التلمساني من أصل أندلسي، وهو من أساتذة ابن خلدون، وتوفي بفاس سنة 757 هـ. والنادرة هو أبو عبد الله محمد بن شاطر الجمحي

المراكشي كان حيا سنة 757 هـ ، وهو من المتصوفة الذين تأثر بهم المقرئ في هذا المجال، وقد روى عنه بعض الحكم الصوفية.

ارتحل المقرئ وشرق وحج ولقي جلة، ومن لقي بمصر: أثير الدين أبا حيان الغرناطي، وشمس الدين الأصبهاني. وفي الشام لقي ابن قيم الجوزية، وصدر الدين الغماري.

4.2 آثاره العلمية:

أسهم المقرئ الجد في إثراء المكتبة الإسلامية بتصانيف كثيرة ومتنوعة، وقد وصفه حفيده بقوله: "صاحب التصانيف الشهيرة التي اقتادت المحاسن بزمام".

وهذه الجملة الطيبة من المؤلفات فيها كتابان، ذهب الشيخ الفاضل ابن عاشور في كتابه: "أعلام الفكر الإسلامي"⁹ إلى القول بأنهما من أعلى تصانيفه، وهما: كتاب في الفقه الموسوم بـ: "القواعد الفقهية"، وكتاب في التصوف، وقد أسماه بـ: "الحقائق والرقائق". فتضمن الكتاب الأول القواعد الفقهية، التي هي الأصول القريبة لأمّهات مسائل الخلاف الفقهي، وقد بلغ عددها ألفا ومائتين.

وأما الكتاب الآخر "الحقائق والرقائق"، فقد قال الباحث المغربي عبد القادر زمامة أن: "المقرئ عبر فيه عن خواطره وارتساماته وما ينقدح في ذهنه من تعليقات على الحوادث التي مرت به أو المجالس التي حضرها أو الأخبار التي تلقاها من أفواه الرجال. غير أن المؤلف جعل بعض تعليقاته وخواطره تحت اسم الحقائق، وجعل أخرى تحت اسم الرقائق، وهدفه هو النظرة الصوفية إلى الحياة، وتفسير ما فيها تفسيراً صوفياً¹⁰.

وبقية مؤلفات المقرئ هي:

- كتاب يشتمل على أكثر من مائة مسألة، قال عنها لسان الدين ابن الخطيب: "ضمنها كل أصيل من الرأي والمباحثة".

- كتاب: "عمل من طب لمن حب"، ويدور محوره على الأحكام الشرعية.

- كتاب: "إقامة المريد"، وموضوعه التصوف.

- كتاب: "رحلة المتبتل"، في التصوف أيضاً.

- كتاب: "التحف والطرف"، قال عنه الحفيد في نفحه: "قد وقفت على بعضه فرأيت العجب العجائب".
- كتاب: "المحاضرات"، ويشتمل على إفادات ذات مواضيع مختلفة من مختلف الفنون.
- كتاب: "الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من معاني السنة وآي الفرقان".
- كتاب: "النظائر الفقهية".
- كتاب: "شرح التسهيل"، في النحو.
- كتاب: "شرح لغة قصائد المغربي الخطيب".
- كتاب: "حاشية على مختصر ابن الحاجب الفقهي".
- كتاب: "شرح جمل الخونجي"، في المنطق.
- كتاب: "اختصار المحصل".
- كتاب: "تكميل التعقيب على صاحب التهذيب"، وهو تذييل على كتاب عبد الحق: "تعقيب التهذيب".
- كتاب: "المحرك لدعاوي الشر من أبي عنان".
- كتاب: "نظم اللآلي في سلوك الأمالي"، وهو برنامجه الذي ضمنه شيوخه الذين أخذ عنهم.
- كتاب: "بلوغ الآراب في لطائف العتاب"، وهو الكتاب الذي سنعرض له بالتوثيق والتحقيق في نسبه إلى المقرئ الجد، مع الإشارة إلى ما احتواه الكتاب من فصول، والطريقة التي تم ترتيبه بها.
- هذا، وقد أورد بعض العلماء للمقرئ أبي عبد الله شعرا، وهو في مجمله يسير على أسلوب الفقهاء والقضاة وأرباب السلوك، ومن أطول قصائده "لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض"، وتقع في سبعة وسبعين بيتا ومائة.
- ومطلعها:
- رَفَضْتُ الشَّوْىَ وَهُوَ الطَّهَّارَةُ عِنْدَمَا تَلَفَعْتُ فِي مِرْطِ الْهَوَى وَهُوَ زِينَتِي
- ومن نظمه أيضا:

إِلَيْكَ بَسَطْتُ الْكَفَّ اسْتَنْزِلْ الْفَضْلَ وَمِنْكَ قَبَضْتُ الطَّرْفَ اسْتَشْعِرُ الدُّلَا
وَهَآنَذَا قَدْ قُئْتُ يَفْئِدُمْنِي الرَّجَا وَيَحْجُمُ بِي الْحَوْفُ الَّذِي حَامَرَ الْعُقْلَا

ومن جيد نظمه:

وَجَدْتُ تُسَعِّرُهُ الضُّلُو عٌ وَمَا تُبْرِدُهُ الْمِدَامِعُ
هَمٌّ تُحَرِّكُهُ الصَّبَا بُهً وَالْمَهَابَةُ لَا تُطَاوِعُ
أَمَلٌ إِذَا وَصَلَ الرَّجَا أَسْبَابُهُ فَاَلْمُوتُ قَاطِعُ
بِاللَّهِ يَا هَذَا الْهَوَى مَا أَنْتَ بِالْعُشَّاقِ صَانِعُ

5.2 ثناء العلماء عليه:

عُدَّ أبو عبد الله المقرئ من أبرز الفقهاء الذين أنجبتهم المدرسة المالكية في القرن الثامن، وقد جمع من صفات الفضل والإمامة ما جعل كثيرا ممن ترجم له يصفه بأوصاف تدل على فضله وزهده وعلو كعبه في علوم شتى.

ومن هؤلاء المترجمين العلامة الونشريسي، فقد قال عنه: "القاضي الشهير الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد المقرئ التلمساني المولد والمنشأ، الفاسي المسكن، كان رحمه الله تعالى عالما عاملا، ظريفا نبیها، ذكيا فهما، متيقظا جزلا محصلا..¹¹. وعرف به لسان الدين ابن الخطيب في كتابه "الإحاطة" ووصفه بقوله: "هذا الرجل مشار إليه بالعدوة الغربية اجتهدا ودؤوبا وحفظا وعناية وإطلاعا ونقلًا ونزاهة..¹². ثم ذكر العلوم التي برز فيها فقال فيه: "يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير، ويحفظ الحديث، ويتهجرجر بحفظ التاريخ والأخبار والآداب، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين: الجدل والمنطق، ويكتب الشعر مصيبا غرض الإجادة، ويتكلم في طريق الصوفية كلام أرباب المقال، ويعتني بالتدوين فيها..¹³

وقد ذكر ترجمته وعد مناقبه حفيده أبو العباس أحمد في كتابه "نفح الطيب"، ووصفه في مقدمة كتابه الآخر "أزهار الرياض"، حينما رحل إلى فاس بقوله: "فألقيت بها عصا التساير وقاها الله من الآفات

والأغابر، واقتفيت في ذلك سنن بعض سلفي الأخير، إذ كان أشهر أسلافنا الشيخ الإمام صاحب التصانيف الشهيرة التي اقتادت المحاسن بزمام، القاضي الأشهر العلامة الأظهر...".

ومن عده من أعلام الفقهاء، ووصفه بمجتهد المذهب، الشيخ أحمد بابا التنبكي في كتابه: "كفاية المحتاج"، ونقل ذلك عنه حفيده في "نفحه". قال أحمد بابا: "الإمام العلامة النظار المحقق القدوة الحجة الجليل أحد مجتهدي المذهب وأكابر فحول المتأخرين الأثبات"¹⁴، وقال عنه المجاري في "برنامج" حينما تكلم عن شيوخ الشاطبي صاحب "الموافقات"؛ ذكر منهم: "الشيخ القدوة الصوفي، نسيج وحده وفريد عصره، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ..."¹⁵

ونختم بثناء الونشريسي عليه حيث قال:

إِذَا دُكِرَتْ مَفَاخِرُ أَهْلِ فَاسٍ دَكَّرْنَا مَنْ أَتَى مِنْ تَلْمِصَانِ
وَقُلْنَا هَلْ رَأَيْتُمْ فِي قُضَاةٍ شَبِيهَاً لِلْفَقِيهِ الْعَدْلِ ثَانِي

إلى أن قال:

وَنَفْسُ الْعِلْمِ إِنْ شَانَتْ لِشَخْصٍ فَمَا لِلْمَقْرِي فِي الْعِلْمِ شَانِي¹⁶

6.2 وفاته:

توفي المقرئ الجد سنة 759 هـ، على ما ذكره أكثر المترجمين. وما ذكره ابن مريم¹⁷ من أنه توفي سنة 795 هـ فبعيد جدا؛ إذ لم يذكر أحد أن المقرئ عاش بعد عهد السلطان أبي عنان المتوفى سنة 759 هـ. ووافق الأستاذ أبو القاسم سعد الله¹⁸ ما أرخه به ابن مريم، فأثبت سنة 795 هـ تاريخا لوفاة المقرئ.

3. التحقيق في نسبة كتاب "بلوغ الآراب في لطائف العتاب" إليه.

لم يرد ذكر كتاب: "بلوغ الآراب في لطائف العتاب" منسوباً إلى المقرئ الجد في كتب التراجم، سوى ما جاء في "كشف الظنون"، حينما نسبته حاجي خليفة إلى الشيخ الإمام محمد بن أحمد المقرئ، ثم ذكر أنه يبدأ بقوله: "الحمد لله الذي ليس له أول..."، وأشار إلى أنه أورد فيه مؤلفه فصولاً من النوادر والتواريخ¹⁹.

ولم يورده لا ابن الخطيب، وهو أحد تلامذته، حينما ترجم لشيخه المقرئ في كتابه "الإحاطة"، ولا حتى حفيده، في كتبه كلها، وبخاصة "نفح الطيب" و"أزهار الرياض". وهذا ما يجعل الباحث المحقق للتراث أمام مسلك وعر يتطلب كثيرا من الأناة والتثبت، فعلم التحقيق - كما يقال - شيق، ولكنه شاق أيضا. وما زاد في صعوبة الأمر، هو وجود نسخ مخطوطة هنا وهناك، تشير عناوينها - في الغالب - إلى نسبة "بلوغ الأرباب" إلى محمد بن أحمد المقرئ.

وقد اطلعت على نسختين: إحداهما من المكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 210، والأخرى في خزانة المؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب ورقمها 18434، وهي بالمكتبة نفسها. إضافة إلى بقية النسخ التي وقعت تحت أيدي باحثين آخرين، كالنسخة الأصلية الموجودة بجامعة الإمام محمد بن سعود تحت رقم 1639، ونسخة أخرى بـشستريتي تحت رقم 3195، ونسخة مكتبة الإسكندرية، وعنهما مصورة بجامعة أم القرى تحت رقم 588، ونسخة دار الكتب الظاهرية تحت رقم 4437، وأخيرا نسخة توبانجن، وعنهما مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية تحت رقم 619.²⁰

وكلها - كما أشرت - أجمعت على نسبة الكتاب على صفحة العنوان إلى محمد بن أحمد المقرئ. وفي بداية جميعها أيضا ترد العبارة الآتية: "قال العبد الفقير إلى عفو ربه محمد بن أحمد المقرئ رحمه الله: هذا كتاب جمعته من جواهر كل كتاب، وسميته بلوغ الأرباب في لطائف العتاب".

وبعد هذه المقدمة تتوالى فصول الكتاب كالآتي:

- الفصل الأول: في نجباء الأنبياء وحسن أجوبة الأذكياء.
- الفصل الثاني: في فعائل الأجواد من السلف وثقتهم بالله تعالى وحسن الخلق.
- الفصل الثالث: في اصنطاع المعروف وإغاثة الملهوف.
- الفصل الرابع: في الحلم وطلب ثمرته، والعفو وحسن عاقبته.
- الفصل الخامس: في التخلص من يد الملوك وذوي الأقدار بالبلاغة وحسن الاعتذار.
- الفصل السادس: في الوفود على الخلفاء وأهل الكرم والوفاء.
- الفصل السابع: في الحب وأسبابه وما فعل بأهله ومن عني به.

-الفصل الثامن: في سرعة أجوبة الأذكياء وغنائهم بالفضلاء.

-الفصل التاسع: في العجائب والظرف والهدايا والتحف.

-الفصل العاشر: في أخبار ساقها التصنيف ونوادير جرها التأليف.

-الفصل الحادي عشر: في أخبار الصالحين وذكر المتقين.

وتمضي فصول الكتاب حتى الفصل الحادي عشر: في أخبار الصالحين وذكر المتقين. وفي بداية هذا الفصل يظهر الدليل واضحاً لا لبس فيه. فالمؤلف محمد بن أحمد المقرئ يقول فيه: "لما نسخت هذا الكتاب لم أجد فيه اسم مؤلفه وكان عشرة أبواب، فأحببت أن يكون أحد عشر باباً، فختمته بهذا الفصل فيه أخبار الصالحين من السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين.."، ثم يواصل ليقول: "...وكننت عزمت أن أضع كتاباً يقال له بلوغ الآراب في لطائف العتاب، وشرعت في طلبه فلما وقع لي هذا الكتاب وأضفت إليه الكراريس المكتتة من الكتاب المذكور وختمت بها هذا الكتاب".

إذن، فالكتاب وقع في يد محمد بن أحمد المقرئ غفلاً من مؤلفه، فأعجب به، وكان قد شرع في تأليف كتاب بلوغ الآراب، فأضاف مقدمة الكتاب التي بدأها بذكر آدم عليه السلام، وختم الفصول العشرة-التي لغيره- بفصل حادي عشر في أخبار الصالحين وذكر المتقين.

ويذكر الدكتور عبد الرزاق حسين أنه وقع تحت يديه مخطوط منسوب إلى المقرئ أيضاً، غير أن عنوانه: "المختار من نوادر الأخبار"، ولما تفحصه وجده مطابقاً في المقدمة وعدد الفصول وعناوينها لكتاب: "بلوغ الآراب في لطائف العتاب"، وفيه دليل قاطع أيضاً على أنه هو نفسه كتاب بلوغ الآراب، إذ في بداية الفصل الحادي عشر في أخبار الصالحين ترد عبارة: "لما نسخت هذا الكتاب لم أجد فيه اسم مؤلفه... إلخ"²¹. وبهذا يتضح أن المختار من نوادر الأخبار هو نفسه بلوغ الآراب، وتعدد عناوين المؤلف الواحد قد حدث كثيراً مثل هذا في تراث الأقدمين²².

هذا، وقد نسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله في "تاريخ الجزائر" كتاب: "بلوغ الآراب في لطائف العتاب" إلى المقرئ الجد، وذكر أنه لا يزال مخطوطاً²³.

غير أن الصواب في كل ذلك أن المقرئ الجد لم يؤلف في "بلوغ الآراب" سوى المقدمة والفصل الحادي عشر.

بعض ما جاء في الجزء الذي ألفه المقرئ من كتاب "بلوغ الآراب في لطائف العتاب":

بدأ الشيخ أبو عبد الله المقرئ تأليفه بمقدمة قال فيها: "الحمد لله الذي ليس له أول بيديه، ولا آخر يخفيه، الواحد الذي جل عن التعليل والتشبيه، وتعالى عن النظر والشبيه،...أحمده على ما يوليه، وأشكره على ما يعطيه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، باسط الشرع وداعيه،...اللهم صلّ على سيدنا محمد وخلفائه الراشدين من بعده..."

ثم قال: "قال العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد المقرئ: هذا كتاب جمعته من جواهر كل كتاب، وسميته: بلوغ الآراب في لطائف العتاب، يشتمل على ذكر من كشف لهم الحجاب، والله الملمهم في ذلك للصواب والمعين على طلب الثواب."24

ثم استهل -رحمه الله- كتابه بالحديث عن أبينا آدم عليه السلام، مفتتحا بقول الله عز وجل: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾25

وذكر إثر ذلك - بأسلوب أدبي مميز وبمسحة صوفية ظاهرة- حوار الله عز وجل مع أمين وحيه جبريل، فقال: "لما أراد الله عز وجل إظهار هذا الدر قال لجبريل: يا أمين الوحي، يا طائر القدس، يا سفير الرسل، يا عنقاء الوحي على قاف القرب، يا هزار الفضل على فنن الوصل...انزل إلى الخطة الغبراء، اهبط إلى هذه النقطة السوداء...خذ من ترابها أحمرها وأصفرها وأسودها وأخضرها...غربله بغربال الإنسان، رش عليه ماء ورد الآمال، خمره بيد القدرة، ثم غطه بغطاء الإرادة...فإذا بلغ عجين أعجوبة قدرتي حد البلوغ، ظهر في إنسان له لسان، ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾26 ينطق ببيان.

ثم انتقل إلى الكلام حول قصة آدم وإبليس، لما أبي هذا اللعين من السجود لآدم، فقال المقرئ فيه: "فلم يزل إبليس يتخيل بمكره ودواهيته إلى أن جرى ما جرى، فلما مال آدم إلى الأغيار، أخرج من الدار، وأبعد عن الجوار،...ونودي: يا آدم بجلتك وأكرمتك، وبحوى زوجتك، صدقت إبليس في القسم وهو كذوب متهم..."

وهكذا واصل المقرئ سرد ما وقع بينهما، بأسلوبه ذاك، مصورا الحوار تصويرا جميلا، غاية في السبك والترتيب، مستدلا بآيات مقتبسة من القرآن الكريم، وبيعض ما ورد من الأمثال العربية والحكم الصوفية.

وبعد هذا أورد الفصل الحادي عشر، وجعله في "أخبار الصالحين وذكر المتقين رضي الله عنهم". فبدأه المقرئ هكذا: "قال العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد المقرئ رحمه الله: لما وقع لي هذا الكتاب وجدته عشرة فصول، فأحببت أن أختمه بحكايات الصالحين والسلف الماضين رحمة الله عليهم أجمعين".

وجعل يسرد أخبار ونوادر بعض الصالحين، وأرباب الطريقة السالكين، ومنهم أبو يزيد البسطامي، وذو النون المصري، وإبراهيم الخواص، وأبو عبد الله التستري...

4. خاتمة:

-المقرئ (الجد)، واحد من العلماء الأفاضل الذين تباهت بهم تلمسان خصوصا، وبلاد المغرب عموما؛

-عُدَّ أبو عبد الله المقرئ من أبرز الفقهاء الذين أنجبتهم المدرسة المالكية في القرن الثامن، وقد جمع من صفات الفضل والإمامة ما جعل كثيرا ممن ترجم له يصفه بأوصاف تدل على فضله وزهده وعلو كعبه في علوم شتى.

-أسهم في إثراء المكتبة الإسلامية بتصانيف كثيرة ومتنوعة؛ أهمها كتابان: كتاب في الفقه الموسوم بـ: "القواعد الفقهية"، وكتاب في التصوف، وقد أسماه بـ: "الحقائق والرقائق".

-ينسب للمقرئ أيضا كتاب عنوانه: "بلوغ الآراب في لطائف العتاب"، وهو الكتاب الذي عرضنا له بالتوثيق والتحقيق في نسبته إليه، مع الإشارة إلى ما احتواه الكتاب من فصول، والطريقة التي تم ترتيبه بها.

-تبين أن "بلوغ الآراب في لطائف العتاب"، لم يرد ذكره منسوباً إلى المقرئ الجد في كتب التراجم، سوى ما جاء في "كشف الظنون"، حينما نسبته حاجي خليفة إلى الشيخ الإمام محمد بن أحمد المقرئ..

-وما زاد في صعوبة الأمر، هو وجود نسخ مخطوطة هنا وهناك، تشير عناوينها- في الغالب- إلى نسبة "بلوغ الآراب" إلى محمد بن أحمد المقرئ.

-وفي الفصل الحادي عشر يظهر دليل عدم نسبته للمقرئ، حيث يقول هو فيه: "لما نسخت هذا الكتاب لم أجد فيه اسم مؤلفه وكان عشرة أبواب، فأحببت أن يكون أحد عشر بابا، فختمته بهذا الفصل فيه أخبار الصالحين من السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين.."، ثم يواصل ليقول: "...وكنيت عزمت أن أضع كتابا يقال له بلوغ الآراب في لطائف العتاب، وشرعت في طلبه فلما وقع لي هذا الكتاب وأضفت إليه الكرائيس المكتتة من الكتاب المذكور وختمت بها هذا الكتاب".

-إذن، فالكتاب وقع في يد محمد بن أحمد المقرئ غفلا من مؤلفه، فأعجب به، وكان قد شرع في تأليف كتاب بالعنوان نفسه "بلوغ الآراب.."، فأضاف مقدمة الكتاب التي بدأها بذكر آدم عليه السلام، وختم الفصول العشرة-التي لغيره- بفصل حادي عشر في أخبار الصالحين وذكر المتقين.

-غير أن الصواب في كل ذلك أن المقرئ الجد لم يؤلف في "بلوغ الآراب" سوى المقدمة والفصل الحادي عشر.

5. هوامش:

1. ومن الذين ضبطوا اسم مترجمنا بتشديد القاف: الثعالبي في كتابه "العلوم الفاخرة"، والونشريسي في بعض فوائده، والشيخ زروق في "شرح الإرشاد". وكان ابن مرزوق الحفيد ممن يذهب إلى أنها بفتح الميم وسكون القاف، ولهذا سمى كتابه في التعريف بالجد: "النور البدر في التعريف بالفقيه المقرئ"، وهو مذهب ابن خلدون وابن الأحمر. وذهب من المعاصرين إلى الرأي الأول الأستاذ محمد بن عبد الكريم الجزائري، وإلى الرأي الأخير الأستاذ عبد القادر زمامة المغربي. ينظر: الإمام أبو عبد الله المقرئ التلمساني، محمد أبو الأجفان، الدار العربية للكتاب، 1988، ص: 23.

2. وأخطأ بعضهم -كالزركلي في أعلامه - في قوله : بأنها من قرى تلمسان؛ ولعل الزركلي أخذ هذا من الحجي؛ لأن كتاب الحجي - خلاصة الأثر - أحد مراجع الزركلي في ترجمة أبي العباس المقرئ صاحب (نفح الطيب) ؛ والحجي ذكر هذا في ترجمته في خلاصته.

3. ينظر: آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع: د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 2004، 120/4.
4. ينظر: الإمام أبو عبد الله المقرئ التلمساني، ص 30.
5. المرجع نفسه، ص 32.
6. ينظر: الإمام أبو عبد الله المقرئ التلمساني، ص 96.
7. المرجع نفسه، ص 96.
8. انظر: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 50، سنة 1996، ص 164.
9. ينظر: الإمام أبو عبد الله المقرئ التلمساني، ص 102.
10. ينظر: الإمام أبو عبد الله المقرئ التلمساني، ص 106-107.
11. ينظر: الإمام أبو عبد الله المقرئ التلمساني، ص 120.
12. ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، 209/1.
13. ينظر: الإحاطة، 209/1 وما بعدها.
14. ينظر: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، أحمد بابا التنبكتي، 120/1.
15. ينظر: برنامج المجاري، أبو عبد الله المجاري الأندلسي، تح: محمد أبو الاجفان، دار الغرب الاسلامي - بيروت، 1982، 119/1.
16. ينظر: نفح الطيب، 340/5.
17. ينظر: الإمام أبو عبد الله المقرئ التلمساني، ص 90.
18. تاريخ الجزائر، 56/1.
19. كشف الظنون، 253/1.
20. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ص 155 وما بعدها.
21. ينظر: مجلة المجمع العربي الأردني، ص 151 وما بعدها.
22. ينظر: مجلة المجمع العربي الأردني، ص 151 و 155.
23. تاريخ الجزائر الثقافي، 223/2.
24. ينظر: مقدمة مخطوط مكتبة الوطنية التونسية، رقم: 210.

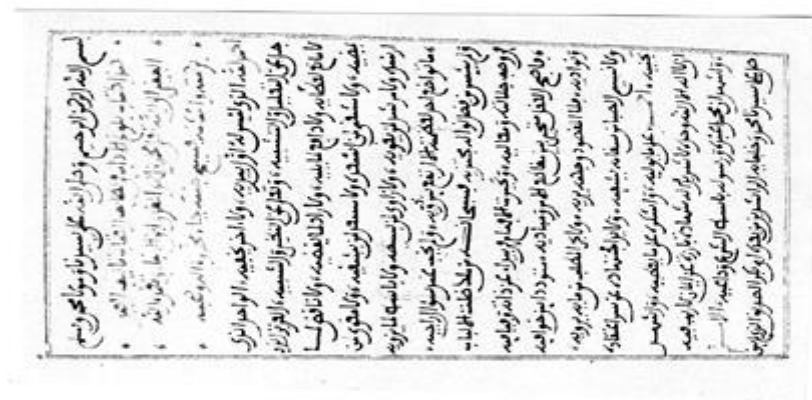
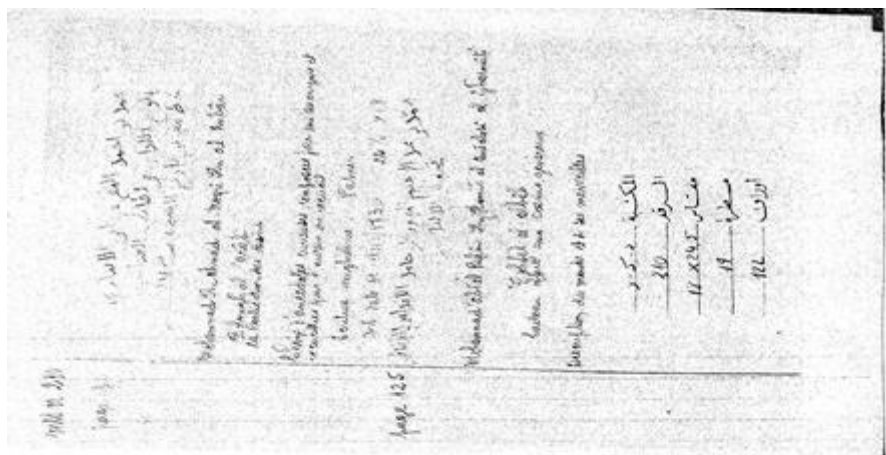
25. البقرة/30.

26. الرحمن/1-4.

6. قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

- الإبراهيمي، أحمد طالب ، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي-بيروت، 2004
 - أبو الأجفان، محمد، الإمام أبو عبد الله المقرئ التلمساني، الدار العربية للكتاب، تونس، 1988.
 - التنبكي، أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دار ابن حزم- بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002م.
 - ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974.
 - خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي بيروت ، 1941.
 - سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2009.
 - المجاري الأندلسي، أبو عبد الله، برنامج المجاري، ، تح: محمد أبو الاجفان، دار الغرب الاسلامي-بيروت، 1982،
 - المقرئ، أحمد، نفح الطيب نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ، تح: إحسان عباس، دار صادر 1388هـ- بيروت،
 - النباهي، أبو الحسن المالقي الأندلسي ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، دار الآفاق الجديدة - بيروت- 1403 هـ،
 - مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 50، سنة 1996،
6. ملاحق: (أهم صور النسخ المتاحة)



1/ طرة غلاف نسخة المكتبة الوطنية التونسية
ويظهر أعلاها اسم المؤلف وعنوان الكتاب باللغتين العربية
واللاتينية، وفي أسفلها رقم التصنيف.

2/ مقدمة نسخة مكتبة حسن حسني عبد الوهاب-تونس.

3/ نسخة مكتبة حسن حسني عبد الوهاب-تونس، وفي الفصل
الحادي عشر منها، يظهر: باب في ذكر الصالحين... قال العبد
الفقير..محمد بن أحمد المقرئ..لما وقع لي هذا الكتاب وجدته
عشرة فصول فأحببت أن أختمه...

الليلة قالت تغير مرقدى وأجس بشي مؤلمني في فراسي
فقطر اذ وسين في فراشها فاذا اودقها اس قد اترو في جلد
فتجها اذ وسين من دقة بشرها هو دقومة جند بها فقال
لها اذ وسين بما كان انوك يطولك قالت كان يطعنني الزبد
واللهد والنج قال لها وذاك قبل تخير احد ابليغ من
المكرامة واللطفا لي بهذا الجند وكان جزاؤه عندك ما
عليمة منك فبكت منك على نسي نعمة اليوم ثم امر بان
يعقد شعرا في ذنبه من سديد الجري ويطلقه ففعل بذلك
فلما تزل حتى شاقطت اعضاها • انعم والله اعلم

في

الحق العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن احمد المقرئ
رحمة الله تعالى لما نسخت هذا الكتاب سلم احبته اسم مولفه
وكان عشرة ففعل في مسعود • فاحبنا ان اختم بفصل
من اجار الصالحين وقد كنت فرقت ان اضع كتابا يقال
بلوغ الآراب • في لطائف العتاب وترعت لجمعه
فما وقعت لي من المودة استحسنها واصفها اليه
اجار الصالحين وحيلة فصل لا يد اعلم العشرة ففعل
لعل الله تعالى يتعاضل بها • وقد خلنا في زمرة من ذلك

الصفحة الأخيرة من مخطوط جامعة
الإمام محمد بن سعود. ويظهر فيه
اعتراف المقرئ بنسبة كتاب المختار
المجهول المؤلف، في العبارات التي تحتها
خط.

من بحث للدكتور عبد الرزاق حسين
في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني